القرار) بعالم مغلق من السرية، يكون فيه الفرد الحاكم العارف الوحيد به. وغالباً ما يكتشف الآخرون الذين يجرون اتصالات سرية مع الحكام العرب تلك الاتصالات والاتفاقات التي تعقد خلالها قبل بروز القرار للعلن، بينما يستمر الحكام على نكرانها. هذا الواقع يستدعي التدقيق في سياسات الحكام واستقراء نواياهم السياسية من خلال رؤية شبكة العلاقات التي يقيمونها خلال الحقبة محل الدراسة. وفي موضوعنا يستدعي الأمر جردة طويلة من الممارسات الرسمية العربية حيال القضية الفلسطينية منذ ظهورها كقضية سياسية، مشفوعة بسلسلة طويلة من التساؤلات حول سبب حدوث هذا الأمر او ذاك، وعدم حدوث نقيضه (المكان الوحيد الذي تتضح فيه اتجاهات سياسات بعض الأنظمة العربية هو أقبية المخابرات، وكل من فرضت عليه زيارة السجون العربية يعرف تلك الصورة). على سبيل المثال، لا الحصر، أعادت الدولتان المحاربتان في ١٩٧٣ علاقاتهما الدبلوماسية بالولايات المتحدة الاميركية بعد وقف اطلاق النار، وزار الرئيس الأميركي، في حينه، ريتشارد نيكسون، منطقة الشرق الأوسط ومن ضمنها عاصمتا الدولتين المحاربتين، ويورد الرئيس الجزائري، في حينه، هواري بومدين، في حديث صحافي: أن «أمامنا ثلاثة احتمالات للحلول: حل عربي، وهذا اسمى الحلول وهو يتطلب أن نكون في مركز قوة. حل اميركي ـ سوفياتي، وهذا الحل لن يرضينا ابداً مائة بالمائة. حل اميركي، وهذا الحل سيكون على حسابنا كعرب»[١٨].

هل الحكام العرب، هم فقط المسؤولون عن هذا الواقع العربي؟ بالقطع، كلا. والتغني بالجماهير والشعب لا يعفي من رؤية واقع هذا الشعب الذي ما زال دون مستوى المجتمع ـ الدولة. وتقع مسؤولية وعي هذا الواقع والتوعية به، ومن ثم طرح المشاريع لتغييره وادارة عملية التغيير على النخبة العربية وشقيقتها الفلسطينية (مطلوب من النخبة العربية، كل من موقعه، في «مجتمعات العرب» تولي هذه المهمة بدءاً بنقد الواقع القائم، انظمة ومجتمعات، وانتهاء بإدارة عملية التغيير).

- هل استطاعت حركة التحرر الوطني الفلسطينية توظيف «العمق» العربي، المتعاطف معها، واستثماره لصالحها وصالحه حتى الآن؟ أيضاً تستدعي الاجابة على هذا السؤال وقفة نقدية لمجمل تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية من موقع الحاجة الى نظام عمل فلسطيني. فمنظمة التحرير الفلسطينية كإطار، هي إبنة شرعية لهزيمة العرب، ولا يلغي صفتها تلك تبني المقاومة الفلسطينية المسلحة لها. بل ان تبني الانظمة العربية للمقاومة الفلسطينية المسلحة جاء لستر «عورات» تلك الأنظمة التي هزمت في ١٩٦٧ «ان المنظمة لا تملك الشخصية المستقلة، لأنها وليدة الواقع العربي الذي ورثت عنه كل تناقضاته وسلبياته»[١٩]. فحين بدأت حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية، جرى العمل على احتواء المقاومة الفلسطينية المسلحة في الاطار الرسمي العربي، وكان الاطار جاهزاً (منظمة التحرير الفلسطينية)، كما ترافق ذلك مع بدء حروب العرب ضد المقاومة. فلماذا وثقت المقاومة الفلسطينية بالأنظمة العربية، واحد مؤسسي حركة «فتح» هو القائل: «أعتقد أن مواطني أخطأوا حين وثقوا بالأنظمة العربية»[٢٠]. مع ذلك، استطاعت المقاومة المسلحة توظيف هيمنتها على منظمة التحرير لاستقطاب الشعب الفلسطيني حولها باعتبارها رمزاً للكيان، وهذه إيجابية يجب عدم التفريط بها، حيث يمكن توظيفها في سياق صياغة اسس ابداع نضالي فلسطيني بدأت ملامحه، على ما يبدو، تبرز في الآونة الأخيرة في المناطق المحتلة